اجتهادات
سلاحُ المقاطعة

تستطيع الشعوب أن تؤدى أدوارًا مهمة فى مواجهة اعتداءات مختلفة اعتمادًا على أشكالٍ من النضال السلمى تطورت على مر الزمن، وبلغت مستوياتٍ متقدمةً فى مرحلة المد الاستعمارى، وما بعدها. قد يلجأ شعب، أو قطاعاتُ منه، إلى النضال فى مواجهة اعتداء عليه، أو على شعب آخر. والمقاطعة أهم أساليب هذا النضال. يتفاوت أثرها من حالةٍ إلى أخرى، خاصةً حين تستهدف إلحاق أضرار اقتصادية بالمعتدين ومن يُدعمونهم. أما أثرها الرمزى فهو موجود فى كل الحالات.

وتستطيع الشعوب العربية، وشعوب بلدانٍ مسلمة، أن تؤدى دورًا فى السعى إلى إنقاذ فلسطين الآن عبر مقاطعة منتجات الشركات الغربية التى يُعرف عنها

مساندة العدوان على غزة، أو دعم الصهيونية بوجهٍ عام. وفضلاً عن أثرها الفعلى، الذى يتوقف على أعداد المشاركين، فللمقاطعة أثرُ رمزى ينطوى على رسائل إلى العالم تُفيدُ بأن شعوبنا التى يُستهان بها حيةُ تنبض. وللمقاطعة، على هذا النحو، أثر معنوى تشتد الحاجة إليه، إذ تعطى المقاطعين شعورًا بأنهم قادرون على فعل شىء مهما يبدو صغيرًا، وتكشف لهم أنهم يستطيعون الاستغناء عن أشياء كانوا يظنون أن التخلى عنها صعب. ولهذه القدرة على الاستغناء أثرُ لا يُضاهى فى شعور الإنسان بذاته واحترامه لنفسه.

وكلما ازداد عدد المقاطعين ومثابرتهم، تنامت خسائرُ الشركات المساندة والمتواطئة. تبدأ هذه الخسائر محدودة، وتكونُ قابلةً للتوسع تدريجيًا بمقدار ما يزداد عدد المقاطعين. والملاحظ أنه جرى فى الأيام الماضية تداول أسماء شركاتٍ أمريكية وإنجليزية وفرنسية وألمانية تتوافر أدلة أو دلائل على أنها قدمت دعمًا ماديًا أو معنويًا لإسرائيل.

لكن المشكلة أن معظم العرب، والمسلمين من غيرهم، فقدوا الشعور بأنهم يستطيعون، وإذا استعادوا هذا الشعور، أو اكتسبه أبناء أجيالهم الجديدة، سيكون لمقاطعتهم شأنُ فعليًا ورمزيًا. وفضلاً عن السلع والمنتجات، يمكن أيضًا مقاطعة مؤسسات ثقافية وأكاديمية مساندة للصهيونية، ولا تبالى بالمذابح المرَّوعة فى غزة. وتجوز أيضًا مقاطعة فعاليات ثقافية يتجذ منظموها مثل هذا الموقف الشائن0 وهذا ما فعله كثيرُ من الناشرين العرب الذين قاطعوا معرض فرانكفورت الدولى للكتاب الذى افتُتح يوم 18 أكتوبر.